جهودُ وإسهامات الشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ في الشّرح الحديثيّ من خلال كتابه: "المسجد وبيت المسلم".

بقلم:
الدكتور الياسين بن عمراوي

أستاذ محاضر في "السنة وعلومها" بقسم الكتاب والسنة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة _
البريد الالكتروني والمهني: y.benamraoui@univ-emir.dz/ yacineproff@gmail.com

ورقة بحثية للمشاركة في الملتقى الوطني الموسوم بـ:

الحديث وعلومه في الجزائر من الرصد التاريخي إلى التفعيل الحضاري.

يوم:2023/10/03م

كلية العلوم الإسلامية
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر بمشاركة قسم أصول الدين.
جامعة الحاج لخضر باتنة 1

مقدمة: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

لقد قدّم علماء الإسلام قديما وحديثا جهودا جليلة في حفظ وتقريب السنّة النّبويّة للنّاس، واختلفت طرائقهم في ذلك، ولعلّ من أهمّ جوانب الاهتمام بالحديث النّبوي العناية بشرحه وبيان معانيه وألفاظه وأحكامه وآدابه، وقد أسهمَ المعاصرون بحظٍ وافر سواء في المساجد أو في البيوت، أو في المدارس العامّة والخاصّة، ومن الذين كان لهم نصيب من ذلك أحد أعلام الجزائر الشيخ " **أبو بكر جابر الجزائري**" رحمه الله، فقد صنّف على طريقة لم يسبق إليها في شرح الأحاديث والآيات وتوزيع مادتها على كل أيام السنة مصنفا جليلا؛ فخصص لكل يوم درسا في التّفسير وآخر في **الشرح الحديثي**، سماه:" المسجد وبيت المسلم"، لتُقرأ تلك الدّروس في المساجد والبيوت من الأئمة النّبلاء والأوليّاء النجباء على أهل المسجد وأهل البيوت، فكانت هذه الدّروس التّفسيريّة والحديثيّة مختصرة، لكن جمعت أحكاما وفوائد عظيمة في أسلوب علميّ رصين دقيق ، فكان لزاما على الباحثين وطلبة العلم النّظر في هذا الكتاب لسبر أغواره وبيان منهجه، والاستفادة من طريقته في تدريس السنّة النبوية للنّاس، ومحاولة تلمّس معالم وأثر مثل هذه التّصانيف لاستثمارها في تصحيح ومعالجة الآثار النفسية والتربوية والاجتماعية، لهذا جاءت هذه الورقة العلمية محاولة متواضعة للكشف عن هذا وغيره.

وكان الباعث أيضا للكتابة في هذا الموضوع **أسباب معتبرة منها**:

- عدم وجود دراسة علميّة تُعنى ببيان منهج الشيخ أبي بكر الجزائري في **الشرح الحديثي** من خلال تلك الأحاديث التي جمعها في الكتاب، فهو متنٌ وشرحٌ.
- قلّة اهتمام الباحثين بالجوانب الحديثيّة في توضيح والكشف عن جهود الشيخ، في هذا الباب؛ وإنّما عرف عنهم الاهتمام بالجانب التفسيري والوعظي الدّعوي أكثر .

أما اشكاليّة البحث ومجالاته فتتعلق أساسا ببيان طريقة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في تناول الدرس الحديثي، فما هو منهجه في عرض المادة الحديثيّة سواء ما تعلق بالمتن أو الشرح؟ وما هو نوع الشرح الذي اختاره في الكتاب رعاية لحال أهل المسجد والبيوت؟ هل هو شرح موضعي أو موضوعي أو مزجي أو عبارة عن حاشية فقط ؟ وما هي معالم التجديد في الشرح الحديثي عند الشيخ رحمه الله؟ كيف يجب أن نستثمر تلك الشروح لمعالجة الآفات الاجتماعية والتربوية والنفسية المختلفة؟ ما علاقة هذا الجانب باختيارات الشيخ لنصوص الأحاديث ومادة الشرح؟ هل تأثر واستفاد من غيره ممن سبقه كالخطابي وابن حجر وغيرهما؟ ما علاقة الدرس التفسيري بالدرس الحديثي حتى جمع بينهما الشيخ في كتاب واحد؟ وهل هناك مناسبة بين مادة التّفسير والشّرح الحديثيّ في الكتاب؟.

هذه الاشكالات والتّساؤلات يحاول البحث الإجابة عنها في هذه الورقة العلميّة التي هي محاولة متواضعة مني في استجلاء بعض تلك المعالم من خلال بحث منهجه وطريقته في الشرح الحديثي.

وتصبو هذه الدّراسة إلى تحقيق **جملة من الأهداف الآتية:**

- تجليّة منهج الشيخ أبي بكر الجزائري في الشّرح الحديثيّ من حيث اختياره للأحاديث وكذا شرحه لها.
- بحث معالم التجديد المنضبط في شرح أبي بكر الجزائري رحمه الله، وطرق الاستفادة من تلكم الطريقة في العرض والشّرح.
- إظهار وإبراز جهود علماء الجزائر في الدّرس الحديثي المعاصر خاصّة ما تعلّق بتقريب السنة وشرحها للعامة والخاصة.
- استثمار الجوانب الاجتماعية والتربوية التي جلاّها ووضّحها الشيخ الجزائري في كتابه.
- إبراز أوجه التكامل والمناسبة بين الدّرس التّفسيري والدّرس الحديثي في كتاب: "المسجد وبيت المسلم".

أما **الدراسات السابقة** ، فلم أقف على رسالة أو كتاب أو مقال علمي – فيما أعلم ــ يُعنى بالجانب المذكور في هذه الورقة العلميّة، وإنما كانت كل الدراسات والأبحاث حول الجوانب التفسيرية عند الشيخ أبي بكر الجزائري، وهذه لا علاقة لها بالشرح الحديثي، ولا بالدرس الحديثي إلا ما كان نبذا طيبة وفرائد حسنة وفوائد مستخلصة في ثنايا مقال علمي قدمه الباحث الفاضل الدكتور مراد خنّيش في ملتقى الدراسات القرآنية في العصر الحديث (الواقع والآفاق) المنعقد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة 1 في 2022/12/06 بعنوان: "الدرس التفسيري التربوي في غير كتب التفسير عند علماء الجزائر ومجالات استثماره – كتاب (المسجد وبيت المسلم) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري أنموذجا–"، وقد أفدت منه جملة من الفوائد أشرت إليها وأحلت عليه في مواطن من هذه الورقة البحثية.

وأما **مصادر البحث ومراجعه** فكان التركيز أساسا على كتاب: "المسجد وبيت المسلم" الذي هو محل البحث والدراسة والسبر، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى ككتب السنة النبوية والدراسات المعاصرة .

ولبحث هذا الموضوع واشكالاته قسّمت هذه الورقة العلمية إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة عرفت فيها بموضوع البحث وأهميته وبيان إشكالاته ، وأهم أهدافه،..

المبحث الأول: الدرس الحديثي في كتاب "المسجد وبين المسلم" تعريف وتوصيف:

أولا: عدد الدروس:

ثانيا: حجم الدرس الحديثي وقيمته:

ثالثا: شرطه في الأحاديث وطريقته في العزو:

المبحث الثاني: معالم منهجية في الشرح الحديثي عند أبي بكر الجزائري في كتابه: "المسجد وبيت المسلم":

أولا: نوع الشرح الحديثي

ثانيا: موضوعات الأحاديث المختارة للشرح الحديثي:

ثالثا: منهجه وطريقته في الشرح:

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والتربوي في الشرح الحديثي عند أبي بكر الجزائري:

أولا: ترسيخ وتصحيح الجانب العقدي:

ثانيا: تثبيت العبادات والتذكير بأحكامها وآدابها وأخلاقها:

ثالثا: الاصلاح الاجتماعي ببيان خطورة الآفات والمظالم :

رابعا: الاصلاح النفسي والتربوي للمسلم:

خاتمة : فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الدرس الحديثي في كتاب "المسجد وبيت المسلم" تعريفٌ وتوصيفٌ:

كتاب "المسجد والبيت المسلم" جليل القدر جميل الوضع، محبوك الرصع، عظيم النفع، يدخل في باب الشرح الحديثي، له عناية بالغة بالجانب التربوي الاجتماعي إذ غالب الأحاديث تعنى بهذا الجانب، سواء تعلق الأمر بالمسائل العقدية وهي أجلها، أو المسائل التربوية المحضة والتي تعالج معا وتصحح مزالق في الجانبين لما للثاني من تعلّق مباشر بالأول، وكذلك الأمر في شقه التفسيري.

فالدرس الحديثي في الكتاب قسيم للدرس التفسيري من حيث العدد والحجم وطريقة البيان والشرح مع مراعاة الاختصار والدقة في الألفاظ والعبارات، وترك الاسترسال الذي قد يملّ منه المستمع أو القارئ، خاصّة أنه درس مسجدي أو منزلي يأخذ مدة قصيرة من الوقت لينصرف الناس إلى أعمالهم وأشغالهم.

وتتعلق الجوانب الوصفية ذات السمّات البارزة في درس الشرح أبي بكر الجزائري فيما يأتي:

أولا: عدد الدروس: إن عدد دروس الحديث في الكتاب هو قسيم لعددها في الدرس التفسيري تماما، وهي 179 درسًا موزعة على أيام السنة بالتناوب مع دروس التفسير، وكل درس منها يشرح حديثا واحدا وهذا هو الغالب، وقد يختار في الدرس مجموعة أحاديث ذات موضوع واحد[1]، ورقم الدرس يقابل اليوم من كل شهر من سنة 1412هـ، أي الدرس الأول من اليوم الأول من كل شهر، والدرس الثلاثون يقابل اليوم الثلاثين من الشهر، وهكذا في كل شهر.

مثاله عن جمعه لجملة من الأحاديث والأخبار في درس واحد، على هيئة الحديث الموضوعي قال:

الثاني والعشرون من محرم عام 1412هـ، ـــــــــــــ الدرس : الثاني والعشرون.

قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»، وقوله: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة». وقوله: «وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة»، وقوله: «وفي الركاز الخمس»، وقوله: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر». ص 28.

ثم شرع في شرحها وبيان مقاصدها ومعانيها، والناظر في هذا الصنيع يلحظ عدة أشياء: منها عدم عزو بعض الأحاديث والأخبار الأحاديث وبيان درجتها –كما سيأتي بيان بعض منهجه في هذا –، وعدم ذكر راوي الخبر، وسوق النص مختصرا مقطعا والاقتصار على محل الشاهد كما في الحديث الأول من هذا الدرس فهو حديث ابن عمر وتمامه في صحيح مسلم:".. فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[2].

ومثاله أيضا: اختصاره لحديث ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله"[3] وتمامه عند الترمذي وغيره :" وأحبوا أهل بيتي لحبي"[4].

ثانيا: حجم الدرس الحديثي وقيمته: لا يتعدى درس الشيخ بأقسامه الثلاثة (النص النبوي، والشرح، والارشادات) الصفحة الواحدة ، وهي حال مطردة من أول الكتاب إلى آخر الكتاب، وذلك لأسباب يمكن إجمالها في الآتي:

أ- مراعاة حال المتلقين للشرح والبيان من حيث طبقاتهم وثقافتهم الدينية والعلمية.

ب- مراعاة الحجم الزمني الذي يلقى فيه الدرس، إذا يكون بعد صلاة الجماعة بين العشائين.

ت- محاولة جمع الناس على بيان محاسن الإسلام بأسلوب رائق جذاب ودقيق ومختصر حتى لا يملّ المتلقي والسامع.

ورغم أن حجم الدرس مختصر معتصر في صفحة واحدة لكن لا يتوهم أحد أنه قد أخل بمقاصد ومعاني تلك الأحاديث المختارة، بل استوفى أكثرها، وأبان عن عقلية فذة في إبراز المعاني الكثيرة من تلك الألفاظ النبوية، ومن جودة اتقانه وحسن اختياره لها أنه أورد الأحاديث المختصرة الألفاظ الكثيرة المعاني (جوامع الكلم) ثم سلك مسلكا بديعا في بيانها وشرحها وتقريب أحكامها وفوائدها وإرشاداتها للمتلقي، في أسلوب علمي فقهي دعوي محكم.

وقد جمع الشيخ بين أسلوب الفقيه، والمفسر، والواعظ والداعية، وعالم الاجتماع الذي أحاط معرفة بهموم الأمة وأزمات أبنائها النفسية والعقلية والعقدية والأخلاقية، وآفاتها الاجتماعية لذا اختار في دروسه مجموعة متنوعة من الأحاديث التي تعالج أو تحارب تلك الآفات المختلفة فتناول الحديث عن تقرير الإيمان وأركانه ومحاذير الوقوع في الشرك والبدع والخرافات، وتحدث عن الآداب والأخلاق التي يحتاج إليها المجتمع في تجلياته وتعاملاته مع خالقه ومع المخلوقين، وتكلم عن الأحكام العملية وشروطها وضوابطها وكيفية أدائها، وغيرها كثير كما سيأتي بيانه في مواضيع الكتاب .

ثالثا: شرطه في الأحاديث وطريقته في العزو: ذكر في المقدمة أنها كلها صحيحة حيث قال:" رأيت أن أقدم عونا وإن كان ضئيلا قليلا لأولئك الدعاة المصلحين فكتبت هذا الكتاب الحاوي لثلاثمائة ونيف وستين آية **وحديثا صحيحا**.."[5]

والناظر في تلك الأحاديث يجد الكثير منها في الصحيحين أو أحدهما، أو رواه الجلّة من أصحاب السنن والمسانيد وربما صححها بعض أهل النقد كالترمذي وبن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم، كما في حديث:" افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة.." قال رواه الترمذي وصححه ورواه غيره[6].

و مثاله كذلك حديث:" إن العبد إذا وضع في قبره..."، قال : رواه أبو دواد وأحمد والحاكم وغيرهم[7].

ومثله حديث أبي هريرة :" إن الله خلق آدم من ترابب..." قال : رواه الترمذي والنسائي والبزار وصححه ابن حبان[8].

قلت: كأنه اكتفى بتصحيح الحاكم رحمه الله.

لكن ينازع في بعض الأخبار فهي لا ترقى إلى درجة الصحة، إلا أنه يعتذر للشيخ في هذا الصنيع من أوجه:

أ- إن الشيخ اعتمد في تقوية وتصحيح تلك الأحاديث أو تحسينها على علماء الحديث بعضهم من المتقدمين منهم : الترمذي، وابن حبان، وبعض المتأخرين المعاصرين كالشيخ الألباني[9].

ب- إن بعض تلك الأخبار الواردة في الكتاب وإن لم يصرح بصحتها عن أئمة من أئمة الحديث حين عزوها إلا أننا نجد بعض أئمة النقد قد صححها، رغم أن في تقويتها نظر، ومن أمثلة ذلك لما ساق حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله"، قال: أخرجه الترمذي، **كذا قال وسكت** عن حكم الترمذي حين قال : "هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه"[10]، وهذا من أبي عيسى تضعيف للحديث، لذلك قال بعض المحققين منهم الذهبي: "هذا حديث غريب، فرد، ما رواه عن ابن عباس إلا ولده علي، ولا عن علي إلا ابنه محمد أبو الخلفاء، تفرد به عنه: قاضي صنعاء عبد الله بن سليمان، ولم يروه عنه إلا هشام"[11].

أما عزو الحديث إلى مصادره من كتب السنة فهو ظاهر بيّن في جلّ الأحاديث لكنه لا يذكر راوي الخبر إلا أذا كان صاحب قصة، كما في قصة عمر بن سلمة :"يا غلام سمّ الله.." إلا أنه يحيد على قاعدته فلا يخرج الحديث كما في الحديث الأول[12]، وربما تصرف المصنف في لفظ الحديث وعزاه كتب السنة بغير ذلك اللفظ كما في حديث :" **كلكم يدخل** الجنة إلا من أبى..." الحديث، ثم نسب اللفظ للبخاري، ولم أقف على لفظ المصنف عند أحد من المخرّجين وإنما لفظ البخاري هو: قوله صلى الله عليه وسلم: «**كل أمتي يدخلون** الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»، أخرجه البخاري وغيره[13]، والله أعلم.

أما إذا كان الحديث خارج الصحيحين اجتهد في الحكم عليه غير أنه لا يذكر ولا ينسب الحكم لأحد من أئمة الحديث في تصحيحه[14]، ولا يُعلم هل هو من اجتهاده وهذا بعيد، أو اعتمد قول غيره من غير عزو، ولكن بالتتبع ظهر لي: أنه يأخذ بأحكام الشيخ الألباني، والدليل : قال عقب حديث عوف بن مالك، قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وبيده عصا، وقد علق رجل قنا حشفا، فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: «لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها»، وقال: «إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة»[15] .

قال الشيخ :" حسن صحيح أبي داود"[16] ، فهذا معناه هو حديث حسن، ينظر صحيح أبي داود ؛ وهو للألباني كما في صحيح سنن أبي داود له:[17]

وكذلك فعل عند عزوه أحاديث إلى صحيح ابن ماجه- كما سبق - ، ومعلوم أن الشيخ الألباني هو خرج أحاديث سنن ابن ماجه وحكم عليها وفصل بين الصحيح والضعيف في مؤلفين مستقلين.

ومع هذا كله ففي الكتاب أحاديث ضعيفة منكرة، كما سبق بحثه، ومن أمثلته أيضا حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا سبعون حوبا، أيسرها أن ينكح الرجل أمه»[18].وهذا الخبر أعله جماعة وضعفوه منهم: البيهقي[19]، والبوصيري، وغيرهما.

المبحث الثاني: معالم منهجية في الشرح الحديثي عند أبي بكر الجزائري في كتابه: "المسجد وبيت المسلم":

أولا: نوع الشرح الحديثي[20]:

انتهج أبو بكر جابر الجزائري في شرحه لتلك الأحاديث المختارة في دروسه **الشرح "الموضعي"** أي الشرح بالقول، وهو "الذي يتصدى فيه الشارح لمواضع معينة من سند الحديث ومتنه، فيذكر اللفظ أو العبارة من سند الحديث أو متنه، ويصدرها بكلمة (قوله) ثم بعد ذلك يشرح اللفظ أو العبارة من مختلف جوانبها"[21] وقد إلتزم بشرح كل كلمة أو جملة من الحديث، فيشرح الألفاظ الغامضة والكلمات الغريبة والعبارات المستغلقة، وترك جملا وألفاظا يسيرة جدا بغير شرح رجاء أن يشرحها الملقى على السامع أو يفهمها المتلقي من غير شرح وبيان.

ومن أمثلة شرحه جل الألفاظ صنيعه عند شرح حديث عمار بن ياسر قال: أجنبت فلم أصيب الماء... الحديث" متفق عليه.

قال أبو بكر :"**الشرح:** قوله: أجنبت أي أصابني جنابة وهي احتلامه وهو في سفر، وقوله: تمعكت أي تقلبت، وفي رواية تمرغت في الصعيد أي في الأرض، وقوله: فذكرت ذلك : أي بعد عوته من سفره، وقوله: إنما يكفيك أي يجزئك، وقوله: ونفخ فيهما من أجل إزالة الغبار حتى لا يشين وجهه، وقوله: إلى الرصغين بالصاد والسين وهما مفصل اليدين[22].

والشرح كله على هذا النسق ويظهر والله أعلم أنه متأثر جدا بطريقة ومنهج الحافظ ابن حجر في شرحه العظيم "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، وكذلك بعض شراح كتب السنة كالخطابي في معالم السنن، وغيرهما.

ولا يبعد تصنيف بعض دروسه ضمن "**الشرح الموضوعي**" أيضا إذا يعمد إلى تعدد الدروس وتعاقبها في موضوع واحد، أو يجمع عدة أخبار في درس واحد، ثم يشرحها كما سبق عند تناول موضوع الزكاة في الدرس الثاني والعشرون.

ثانيا: موضوعات الأحاديث المختارة للشرح الحديثي: اعتنى الشيخ في اختيار وجمع الأحاديث أحسن اختيار حيث اشتملت على موضوعات عديدة كما نبه إلى ذلك في المقدمة فقد اشتملت الأحاديث: العقائد(أركان الإيمان..)، والأحكام، والآداب والأخلاق، والرقاق وتزكية النفس، والقيم ،،، حيث قال في المقدمة، وهو يتكلم عن مواضيع الآيات والأحاديث:"... ثم يبين لهم المطلوب من هذه الآية إن كان عقيدة اعتقدوها ، وإن كان حكما عرفوه، وإن كان عبادة إلتزموها، وإن كان أدبا تأدبوا به، وإن كان خلقا تخلقوا به، كذلك، وإن كان عبرة اعتبروا بها، وإن كان موعظة اتعظوا بها هذا يوم الآية ويوم الحديث كذلك.."[23].

وعادة الشيخ أن يبدأ بدرس في العقيدة (على تعاقب بين الدرس الحديثي والدرس التفسيري) ثم يشرح حديثا في الأحكام ثم في الآداب والأذكار ، وهكذا ،،، فقد بدأ بحديث "يا غلام سم الله" ثم أعقبه بحديث "كلكم يدخل الجنة إلا من أبى" ثم حديث :" يا معاذ أوصيك.." ثم حديث :" لعنة الله على اليهود والنصارى.."،

ووجه المناسبة فيما يظهر لي في ترتيب هذه الأحاديث على هذا النسق في بداية الكتاب كأن الشيخ يريد أن يقول أن أول ما يبتدأ به في العلم والخير عامة التسمية، ثم ذكر ما يرغب في دخول الجنة ومن أولها طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكون إلا باتباعه فأساس العمل الدنيوي كله جزاؤه إما جنة أو نار، ولا يستحقها – الجنة – إلا بالعبادة وأفضلها الصلاة والذكر عقبها، وهذه الشعيرة تكون أعظم بأن تؤدى في المسجد لذلك وجب أن يكون لله خاليا من الشرك والبدع.

ووجه المناسبة بين الآيات والأحاديث المختارة من جهتين:

الأولى: من جهة الموضوع العام كثيرا ما يتّحدّ موضوع الدّرس التّفسيري والدّرس الحديثي[24].

والجهة الأخرى: اختيار الشيخ الأحاديث التي تزيد الآيات تفسيرا وبيانا بعد شرحها من حيث بيان المجمل وتقييد المطلق، وتخصيص العام أو غير ذلك من البيان والايضاح.

لكن ربما غاير بين هذا الترتيب الآنف الذكر؛ فيذكر عدة أحاديث في موضوع واحد لدرس واحد، أو تتوالى دروس الحديث في موضوع واحد _ كما سبق بيانه –، كأنه شرح موضوعي لجملة من الأحاديث وإن اختلف الدرس واليوم الذي ألقي فيه لأن له في ذلك مقاصد منها الاختصار حتى لا يمل أهل المسجد والبيت.

مثاله: لما ذكر آيات الطهارة التي في المائدة وهي قوله تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: ٦

جزأها على أجزاء وقسمها إلى ثلاثة دروس ذكر وشرح بينها أحاديث الطهارة، – والتي جعلها درسا مستقلا كذلك– وهي حديث عثمان بن عفان أنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث.."، وحديث ميمونة وضعت للنبي ماء يغتسل به .."، وحديث عمار بن ياسر: "أجنبت فلم أصب الماء.."[25] ، **وكلها لها مناسبة بالآية لأنها جمعت الكلام عن الوضوء والاغتسال والتيمم، وكذلك الآية الكريمة.**

وأما أهم الموضوعات التي تناولها الشيخ أبو بكر الجزائري على التفصيل فسيأتي بيانها مع توضيح أثرها الاجتماعي والنفسي في المبحث الثالث.

ثالثا: منهجه وطريقته في الشرح:

أ- يصدر الدّرس بذكر الشهر واليوم الذي ألقي فيه أو يلقى فيه الدرس ثم رقمه الذي يقابل اليوم الذي ألقي فيه، ثم نص الحديث النبوي ثم الشرح ثم عنوان آخر: إرشادات للمربي، ولم تظهر لي وجه المناسبة بين موضوع الدرس والشهر الذي ألقي فيه ولو من طرف خفي، والظاهر أنه لم يراع ذلك؛ إلا في دروس شهر رمضان فإن أغلب الأحاديث المذكورة والمشروحة تتعلق بفضائل الشهر وآدابه وبعض أحكامه كالاعتكاف وغيره، وبيان فضل ليلة القدر والعشر الأواخر، وهي بضعة عشر درسا[26]، والبقية في مواضيع أخرى.

ب- الالتزام بشرح ألفاظ ذلك الحديث وبيان دلالتها ومعانيها تحت عنوان: "**الشرح**" وذلك كله في ضوء أحاديث موضوع واحد من غير ذكر لأحاديث الباب والألفاظ المختلفة لذلك الحديث إلا نادرا، وهذا يدل على سعة اطلاعه على تلك الأحاديث ومعانيها واختلاف ألفاظها، فيستنبط المعاني الدقيقة والنكت الوفية مع الاحاطة بالمعنى الاجمالي للخبر، من غير إشغال لعقل وفؤاد المتلقي بالصيغ والألفاظ المختلفة في أداء تلك الأحاديث.

والتزم الشيخ أبو بكر التقيّد الشديد بألفاظ وعبارات الشرعية وانتقاء أساليب مناسبة لها أثناء الشرح بما يفيده المعنى من غير تمحل ولا احتمال، مع الجنوح إلى الاختيار في المسائل المختلف فيها، والاجتهاد في الجمع بين دلالة تلك الأحاديث والأخبار وفق طرق الجمع والترجيح المشهورة عند أهل العلم، ومن **أمثلة ذلك ما يلي:**

لما جاء إلى حديث عمار بن ياسر في التيمم قال في الإرشادات والفوائد: علمهم أن هذه الصورة للتيمم أصح صورة، وقد ورد عن ابن عمر أن المتيمم يضرب الأرض مرتين: الأولى للوجه، والثانية للدين وأنه يمسح يديه إلى المرفقين، وهذه الصورة أي الثانية في حديث عمار رضي الله عنه أيسر وأصح والعمل جائز بكليهما[27].

ت- إسعاف إمام الدّرس ورب الأسرة بإرشادات تزيد الحديث بيانا وشرحا، وتنبه إلى طريقة محكمة لفهم الحديث النبوي من خلال الخطوات الآتية في عنوان مستقل سماه: "**إرشادات للمربي**"، وهي في الغالب الأعم لا تتجاوز الخمس أو الست، وقليلا ما يتجاوزها إلى ست إرشادات:

1- قراءة الحديث النبوي عدة مرات حتى يحفظه الناس أو يشعر القارئ بأنهم قد حفظوا جله .

2- أن يقرأ المربي "شرح الحديث" بلفظه كما هو مدوّن، ثم يشرح لهم ويوضح لهم المقروء عليهم إذا لم يفهموه، ولو كان ذلك باللغة العامية – الدارجة _ قال رحمه الله في إرشاداته عند شرح حديث" من أطاعني دخل الجنة..": "اقرأ عليهم شرح الحديث كما هو أمامك وما صعب فهمه عنهم فاشرحه لهم بلغتهم الدارجة حتى يفهموه فهما جيدا"[28].

3- إن قارىء الدرس وملقيه عليه أن يوجه الخطاب إلى المستمعين بعبارات جلية واضحة تعلمهم ما في هذا الحديث من الأحكام العقدية والعملية، والآداب والأخلاق المستنبطة منه، بدلالة قوله للإمام ورب الأسرة مثلا: " نبئهم"، "ذكّرهم"، " أخبرهم"، " علّمهم"[29]، وهذا مطرد في كل درس حديثي يشرح فيه كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

4- على المدّرس أن يسأل المستمعين **أحيانا** أسئلة يختبر بها صحة فهمهم وحفظهم[30].

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والتربوي في الدرس الحديثي عند أبي بكر الجزائري:

أولا: ترسيخ وتصحيح الجانب العقدي:

لقد اعتنى الشيخ بالجانب العقدي للمسلم تقريرا وتصحيحا من جانبين:

أ- حسن اختيار نصوص الأحاديث التي تقرر عقيدة المؤمن، من توحيد الله تعالى، وبيان أركان الإيمان، وحقيقة النبوة والولاية، والتحذير من البدع والشرك الخفي والظاهر، وكيفية اخلاص العبادة له[31] تعالى وإفراده بها كالصلاة والصوم و الاستعانة والذبح والنحر وغيره، يقول رحمه الله:" يقول مثلا في هذا الموضع: "بأن العبادة يشترط لصحتها وقبولها وتزكية النفس بها يشترط لها الإخلاص والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في أدائها كمية وكيفا وزمانا ومكانا"[32]

ب- محاربة كل ما يضاد العقيدة السليمة المستنبطة من الكتاب والسنة، من خلال محاربة التوسل غير المشروع، وتمني الموت والهلاك، وطلب الشفاعة من الخلق ، ومثاله قوله رحمه الله عند شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة.." الحديث عند أحمد والطبراني، قال:" علمهم أن الشفاعة لا تطلب إلا من الله عز وجل ومن طلبها من غير الله عز وجل حُرمها، وأن الشافع ملكا كان أو نبيا أو صالحا لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ويرضى عن المشفوع له"[33]، وهنا فيه قطع للطريق عن الذين يرتكبون الموبقات والمنكرات ويطلبون الشفاعة من الأولياء ظنا منهم أن ذلك ينفع، لأن الله غير رض عنه وكيف يرضى عن الفاسد المفسد الظالم.

ثانيا: تثبيت العبادات والتذكير بأحكامها وآدابها وأخلاقها: كما قرر الجانب التعبدي وبين الكثير من الأحكام المتعلقة به، كأحكام الطهارة ، والصلاة، والزكاة وسائر الأركان، وكذلك أحكام البيع والشراء والإجارة

والإعارة وتحريم الربا ، وكيفية التعامل مع الآخرين في الأحكام التي شرعها الباري تعالى كالزواج والطلاق والعدة والخلع، وبيان حقوق الناس بالميراث والتركة، وبيان الحلال والحرام وترك الشبهات، ومحاربة البدع والمخالفات الشرعية في تلكم الأحكام، **ومثاله** قوله رحمه الله عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر.." الحديث قال: "ذكرهم بأن قول النبي صلى الله عليه وسلم التمسوها في الوتر من العشر الأواخر لا يؤخذ منه أنها ليلة سبع وعشرين كما يرى بعض الناس حتى إنهم يحتفلون فيها بالأكل والشرب والسهر في المسجد وبعضهم لا يقوم رمضان إلا ليلة سبع وعشرين وهذا لم يرد عن الشرع ولم يفعله السلف الصالح"[34] .

فهذا كما ترى ليس من دلالة اصل المتن ولكن راعى فيه الشيخ والمناسبة فذكر ما دلت عليه أحاديث الباب، فنبه إلى تلكم المخالفة بأسلوب سلس فيه الرفق واللين والدعوة إلى اتباع الشرع والسلف الصالح.

ثالثا: الاصلاح الاجتماعي ببيان خطورة الآفات والمظالم: حيث بين حقيقة خلق الإنسان، لاستخلافه في الأرض، فالتشريعات الربانية كلها لإصلاح حاله الاجتماعية حيث وضّح محاسن الشريعة من خلال ربطه بواقع الناس اليوم.

مثاله : قال عند شرح حديث ميمونة: وضعت للنبي صلى الله عليه و سلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين أو ثلاثا ثم أفرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالأرض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم أفاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه".

قال أبو بكر:" نبئهم أن دلك اليد بالأرض أو غسلها بالصابون مظهر من مظاهر محاسن الشريعة، وكذلك تخليل الشعر أي شعر الرأس بالماء قبل غسله حذرا من الزكام من محاسن الشريعة"[35].

ورسم منهجا لطالب الآداب والأخلاق الحميدة فبينها، وذم منهج المفلسين فيها حيث شرح قدرا لا بأس به من الأحاديث في هذا الباب، فذكر سنن الفطرة في زمن انتكست الفطر، وذكر الإخوة والبر والصلة والنهي عن الحسد والبغضاء، ووضح حقوق الوالدين والجار، وآداب الاستئذان، والوفاء وغيرها، ومن **أمثلة بيانه** الأثر الاجتماعي السيء لمخالفة الشرع: التنبيه إلى ما عليه الناس اليوم من المعاصي والموبقات، فأرشد الإمام والمربي إلى ضرورة بيان أن ما يفعله الناس من البناء على القبور ، وإشعال الشموع عند قبور الصالحين كله من المحرمات التي لا يرضاها الشرع، وكذلك وضع الصور في المساجد كله محرم يجب محاربته[36].

رابعا: الاصلاح النفسي والتربوي للمسلم: بيان حلاوة الإيمان، ومضار التخلق بأخلاق أهل النفاق، وشرح محاسن الإسلام في مضاعفة الحسنات والتجاوز عن السيئات، وبيان سعة رحمة الله وعفوه لعباده، **وهذا من شأنه أن يزرع الطمأنينة والراحة النفسية.**

ومثاله قوله رحمه الله عند شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام: "تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمو عمود الإسلام.." الحديث عند البخاري، قال: "علمهم – أي الإمام ورب البيت – أن الدين الإسلامي هو دين الله يكمل ويسعد كل من آمن به ودخل فيه وعمل بما حواه واشتمل عليه .."[37].

وكذلك ركز الشيخ على ترسيخ جانب الإيمان بالقضاء والقدر الذي **يُذهب الكثير من الوساوس والأماني الكاذبة والاحتجاج بالقدر الحسن أو السيء لتبرير الفعل والقول**، مما يجعل المسلم يحسن الظن بالله تعالى ، فيجعله يقدم على الطاعات والعبادات وذكر الله تعالى، فيصل إلى درجة الاطمئنان والراحة، باتباعه دعوة النبي صلى الله عليه على تفاصيلها إيمانا بأنها وحي من الله جل وعلا.

خاتمة : وبعد هذه الجولة العلمية في ثنايا كتاب أبي بكر جابر الجزائري: "المسجد وبيت المسلم" يمكن تلخيص نتائجه كالآتي:

1- يعد الكتاب مرجعا مهما لمن رام إلقاء درس مختصر معتصر بعد الصلاة لعموم الناس في التفسير أو في الحديث النبوي.

2- أجاد الشيخ وأحسن في اختيار أحاديث مختصرة جامعة لكلام النبي المصطفى تعنى بجوانب متعددة في العقيدة والأحكام العملية والآداب والأخلاق والرقاق وغيرها.

3- يعد شرح أبي بكر على تلك الأخبار المختارة عصارة ما ذهب إليه أئمة الحديث في بيان معانيها ودلالة الفاظها، واستنباط أحكامها وفوائدها.

4- أفاد البحث أن الشيخ جمع في شرحه وأسلوبه بين المعرفة التفسيرية والحديثية، مع إحاطة تامة بالجوانب النفسية والاجتماعية للمسلمين مما سهل له الخوص في معاني الأحاديث والتنبيه إلى تلك الامراض وطرق علاجها أو تصحيحها.

5- لقد كان شرح أبي بكر الجزائري للأحاديث شرحا موضعيا وبالقول في أكثر الأحاديث، مع حسن استثمار الشرح الموضوعي لبعض المسائل الفقهية والعقدية أحيانا.

6- اعتنى الشيخ ببيان الفوائد والأحكام بأسلوب رائق وعبارة مختصرة تجمع مقاصد الأخبار وتبين الاحكام المختلفة .

7- لم يعتن الشيخ ببيان الاختلاف بين الفقهاء والعلماء وإنما ذكر الوجه الراجح والمختار عنده في أكثر الشرح رعاية لمقصد الاختصار من جهة، ورعاية لمستوى المتلقي من جهة أخرى.

8- يمكن إدراج هذا الشرح ضمن الشروح التي تعنى بالجانب الاجتماعي التربوي لتقرير الصحيح المعتبر، وتصحيح الخلل المنتشر.

9- وإن كان من توصية فلابأس أن يلتفت الطلبة والباحثون إلى تخريج ودراسة أحاديث الكتاب مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، خدمة للكتاب وتتميما لجهد الشيخ في خدمة السنة النبوية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحاديث تعظم الربا على الزنا دراسة نقدية، لإبراهيم اللاحم، دط.
2. الدرس التفسيري التربوي في غير كتب التفسير عند علماء الجزائر ومجالات استثماره – كتاب (المسجد وبيت المسلم) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري أنموذجا-، مراد خنيش ، مداخلة علمية، ملتقى الدراسات القرآنية في العصر الحديث (الواقع والآفاق) المنعقد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة 1 في 2022/12/06 .
3. السنن : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر - بيروت
4. السنن : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: مكتب تحقيق التراث: دار المعرفة ببيروت الطبعة : الخامسة 1420هـ
5. السنن: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
6. سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ ت: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .
7. شرح الحديث النبوي دراسة في التأريخ للعلم، حاتم الشريف العوني، مركز نماء، ط 1، بيروت ، لبنان، 2021.
8. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1410
9. صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان): محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993م.
10. صحيح سنن أبي داود: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420 هـ): مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م
11. الصحيح: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي
12. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق : خليل الميس، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1403هـ.
13. الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (المتوفى : 365هـ): دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م

14. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990
15. المسجد وبيت المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة لينة دمنهور، ط الأولى، 1992.
16. مسند البزار أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ): محفوظ الرحمن زين الله، : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)
17. المسند الصحيح (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
18. المسند: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
19. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ت: محمد المنتقى الكشناوي: دار العربية – بيروت الطبعة: الثانية، 1403 هـ
20. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، 1404 - 1983
21. النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، محمد بن محمد ، ابن سيد الناس، اليعمري دراسة وتحقيق وتعليق: أحمد معبد عبد الكريم: دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1409 هـ.

حواشي البحث وإحالاته:

[1]– ينظر : "الدرس التفسيري التربوي في غير كتب التفسير عند علماء الجزائر ومجالات استثماره –كتاب (المسجد وبيت المسلم) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري أنموذجا–"للفاضل الدكتور مرا خنيش ص 10. أما التعريف بالكتاب فقد أجاد أخونا الدكتور مراد خنيش في التعريف به في هذا المقال، ينظر ص: 7-9.

[2] – صحيح مسلم: (1/ 53).

[3] – ص: 29.

[4] – أخرجه: الترمذي في السنن: (134/6) والحاكم في المستدرك على الصحيحين : (3/ 162)، الطبراني في المعجم الكبير: (3/ 46).

[5] – مقدمة الكتاب ص: ب,.

[6] – المسجد وبيت المسلم، ص: 31.

[7] – المرجع نفسه: ص 37.

[8] – المرجع السابق: ص49.

[9] – ينظر أمثله على ذلك في الكتاب: ص: 101-109-189.

[10] – السنن: 134/6.

[11] – سير أعلام النبلاء، (118/18). ينظر أيضا: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي: (7/ 111)، والعلل المتناهية لابن الجوزي: (267/1).

[12] – المسجد وبيت المسلم: ص 2.

[13] – المسجد وبيت المسلم، ص:4.

[14] – المسجد وبيت المسلم، ص 11، وينظر أيضا: ص: 29-37وغيرها.

[15] – أخرجه: أبوداود في السنن : (1/ 505) وابن ماجه في السنن: (1/ 583) وأحمد في مسند: (39/ 426)، وابن خزيمة في الصحيح: (4/ 109).

[16] – المسجد وبيت المسلم، ص 24.

[17] – (316/5).

[18] – اخرجه: ابن ماجه السنن: (2/ 764)، ابن أبي شيبة في المصنف، (6/ 561)، والبزار في المسند: (15/ 175).

[19] – شعب الإيمان – البيهقي (4/ 395) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (3/ 34)، ينظر أيضا: بحث أحاديث تعظم الربا على الزنا دراسة نقدية، لإبراهيم اللاحم (ص: 102)

[20] – ينظر أنواع الشروح الحديثية: مقدمة أحمد معبد ص:91/1 وما بعدها ، وشرح الحديث النبوي دراسة في التأريخ للعلم، حاتم الشريف العوني، ص: 138 وما بعدها.

[21] – مقدمة تحقيق النفح الشذي لأحمد معبد: 91/1 .

[22] – المسجد وبيت المسلم، ص19

[23] – مقدمة ص: ب.

[24] – ينظر مثلا: ص 74/277-278

[25] – المسجد وبيت المسلم ص: 9-14، من الدرس التاسع إلى الرابع عشر.

[26] – ينظر: المسجد وبيت المسلم ص: 251 إلى 265 من الدرس العاشر إلى الدرس السادس والعشرون.

[27] – المسجد وبيت المسلم ص: 14، وينظر مثالا آخر ص 11.

[28] – المسجد وبيت المسلم ص: ، ص: 4

[29] – ينظر : المسجد وبيت المسلم ص: ص 20-22-24

[30] – ينظر مثلا المسجد وبيت المسلم ص: 22

[31] – وهذا يكاد يكون مطردا في كل موضوع يشرحه ويبينه في الكتاب ينظر مثلا: المسجد وبيت المسلم ص: 255- 253.

[32] – المسجد وبيت المسلم، ص: 253

[33] – المسجد وبيت المسلم ص:259.

[34] – المسجد وبيت المسلم، ص:251.

[35] – المسجد وبيت المسلم، ص: 12.

[36] – ينظر المسجد وبيت المسلم، ص:: ص 8 عند شرح حديث: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.." الحديث.

[37] – المسجد وبيت المسلم، ص: 245.